أثر فتوى الجهاد للشيخ محمد تقي الشيرازي (رحمه اللّه) في قيام الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠م ضد المحتل البريطاني

أ. د. برزان مُيسر حامد الحميد
قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الأنسانية
جامعة الموصل/ العراق
dr.barzan_78@yahoo.com

أ. د. عبد الرحمن ابراهيم الغنطوسي
قسم التاريخ/ كلية التربية
الجامعة العراقية /العراق
Abdalrhman.barahem_78@yahoo.com

ملخص الدراسة :

لقد شهد تاريخ العراق المعاصر أحداثاً سياسية مهمة شكّلت نقاط تحّول تاريخية، كان من أبرزها مقاومة الشعب العراقي للاحتلال البريطاني البغيض والذي توّج بثورة ١٩٢٠م، ولم يكن العراق بمعزل عن محيطه العربي والإسلامي الذي ناهض الاستعمار الغربي (البريطاني والفرنسي) في سوريا ومصر وفلسطين وتركيا وغيرها من الدول العربية والأسلامية. حيث برز في هذه الدول العديد من القادة الوطنيين والزعماء الدينيين الذين التفّ شعوبهم حولهم لنيل الحرية والاستقلال وطرد المحتلين الاجانب. كما برز في العراق ايضاً العديد من الشخصيات الوطنية والدينية كان على رأسها المرجع الديني الاعلى آية الله الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي.

لقد كان الإمام المرجع الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي من رجال الدين الأفذاذ الذين واكبوا سير الحركات الثورية في عصورهم ووجهوا مؤيديهم لخدمة مصالح الوطن العليا، بحيث بدى الرجل أسبق من زمانه، واستثناءً في حينه في فهم دور المرجعية الدينية الشيعية الوطني. وبذلك فإنه التقط الجاذب والنافع والموحد في الفهم الإسلامي في معالجته أو تصديه لمثل هذه القضايا، حينما أفتى وساند ودعم حركة المجاهدين، بوجه الغزو البريطاني للعراق في مطلع القرن المنصرم، متمثلاً

بقول الإمام علي عليه السلام: ما غزى قوم بأرضهم إلا ذلوا لأنه وجد وعن يقين ثابت أن الوقوف على الأطلال عتاب أو نواح أو كسل لغايات صغيرة، لا يجدي نفعاً، أمام هذه الافتتاحية المتعددة الأشكال من القوى الطامعة في أرضنا وخيراتنا، وخير رد عليها، يكون بالمعادل النوعي المتمثل بالجهاد الذي وجده الشيرازي في شكل ما متحقق -فرض عين- على كل مسلم في أرض الإقليم الذي يتعرض لهذا الغزو.

لقد كان الإمام الشيرازي يجد في حركة الجهاد، سفراً إيمانياً لكل مشارك فيه، يمكنه من إعادة صقل وتهذيب النفس، بما يبعد عنها ما لحق بها من أدران، بحيث يكون جهاد النفس، متوازياً مع الجهاد الأخر، دفاعاً عن الأرض والعرض. وفتواه وفتوى غيره من العلماء، في دعم وإسناد حركة الجهاد، عبرت عن أفق وزمان إسلامي لا يتكرر، تصاغرت معه أزمان أخرى، بدت عاجزة أن تمسك حتى بأطرافه، لأن الإمام الشيرازي والعلماء الآخرون، أرادوا الإمساك بالتاريخ، لا باللحظة، لأن في ذلك امتحاناً لإيمانهم قبل أن يكون امتحاناً لوطنيتهم، ولذلك ظلت وقائع ما حصل رغم مرور قرن كامل عليها، ذكرى عطرة لا تمحيها كل الأحداث، لأنها تعاملت مع الإسلام التكاملي، لا الإسلام المجزأ والمقسم، وفقا لرغبات الطوائف والملل وما أكثرها.

من خلال ما تقدم سنتناول في هذه الدراسة فتوى الامام الشيرازي (رحمه الله) في قيام ثورة العشرين الوطنية وتعبئة الصفوف وشد الهمم وإدامة زخم المجاهدين ضد المحتل البريطاني للعراق، وما أشبه اليوم بالبارحة، مستخدمين المنهج التاريخي الوصفي القائم على سرد الأحداث التاريخية وربطها وتحليلها ومناقشتها بغية الوصول الى الصورة الواضحة المعالم تاريخياً وبالرجوع الى المصادر والمراجع ذات العلاقة.

الكلمات المفتاحية: أثر، فتوى، الجهاد، الشيرازي، الثورة العراقية، البريطاني.

The impact of the jihad fatwa of Sheikh Muhammad Taqi al-Shirazi (may God have mercy on him) on the great Iraqi revolution 1920 AD against the British occupier

Prof. Dr. Abdurahman ibraheem Algantossi

Dept. of History
College of Education
University of Iraqi / Iraq

Prof. Dr.Barzan moyasir hamid alhameed

Dept. of History
College of Education for Human Sciences
University of Mosul / Iraq

Imam al-Shirazi used to find in the movement of jihad, a journey of faith for each participant in it, enabling him to re-refine and refine the soul, by removing from it what has befallen it of dirt, so that the jihad of the soul is parallel to the other jihad, in defense of land and honor. And his fatwa and the fatwa of other scholars, in support and attribution of the jihad movement, expressed an Islamic horizon and time that would not be repeated. Other times became smaller with it, and it seemed unable to hold even its edges, because Imam Shirazi and other scholars wanted to hold on to history, not to the moment, because in that is a test of their faith before To be a test of their patriotism, and therefore the facts of what happened despite the passage of a whole century have remained a fragrant memory that cannot be erased by all events, because they dealt with integrated Islam, not fragmented and divided Islam, according to the desires of sects and sects and so on.

Through the foregoing, we will discuss in this study the fatwa of Imam Al-Shirazi (may God have mercy on him) on the rise of the national revolution of the twentieth century, mobilizing the ranks, strengthening the forces and sustaining the momentum of the Mujahideen against the British occupier of

Iraq, and what is similar today to yesterday, using the descriptive historical method based on narrating historical events, linking, analyzing and discussing them in order to Access to the clear picture historically and by referring to the relevant sources and references.

Keywords: impact, fatwa, jihad, Shirazi, Iraqi revolution, British.

مقدمة:

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ م، نجحت بريطانيا العظمى في بسط نفوذها وسيطرتها على العديد من الدول، وبالخصوص الإسلامية منها، ففي العراق، تقدم الجيش البريطاني واحتل البصرة في ٩ تشرين الأول ١٩١٤ م. وكانت هذه الحملة البريطانية على العراق هي أولى عملياتها الحربية ضد الدول العثمانية.

لقد كان الغزو البريطاني للبصرة في تشرين الثاني ١٩١٤، الشرارة الأولى التي عمقت بوادر الوعي الوطني لدى رجال الدين، عندما انخرط مراجع الدين الكبار لأول مرة في تاريخ العراق الحديث في المقاومة المسلحة لمواجهة قوات الاحتلال البريطاني فسجلت صورة من صور التلاحم الوطني الديني العشائري في تحالفهم مع القوات العثمانية.

إن عملية تعبئة الجماهير المسلمة، بمختلف الطوائف في بداية التصدي لدخول الانجليز لثغر البصرة تمت من خلال الشعور الإسلامي والواجب الشرعي الذي يحتم على الفرد المسلم اتخاذ موقف الجهاد. فلم تتم التعبئة عن طريق المفاهيم الوطنية المجردة، أو عن طريق استمالة العشائر بالترغيب والترهيب، وإنما كان انقياداً تاماً للفتوى والأحكام الشرعية. فصدرت في الشهر الأول من دخول تركيا في الحرب عن شيخ الإسلام، فتوى الجهاد باعتباره صاحب أرفع منصب ديني في الدولة العثمانية، أنه فرض عين على جميع المسلمين في العالم، ومن بينهم الذين يعيشون تحت حكم بريطانيا وفرنسا وروسيا أن يتحدوا لمقاومة هذه الدول الثلاث عدوة الإسلام وان يحاربوا حلفاءها. لقد كانت المرجعية الشيعية ترى في جهاد الانجليز

حكما قاطعا لا يمكن التخلي عنه او التردد فيه، فلم تكن حركتها (الجهاد) منبعثة من نظرة سياسية بحتة ولا أبعاد طائفية تستوقفها او تجعلها تشك في وجوب الجهاد ضد الانجليز، وإنما كانت النظرة شاملة وكاملة في الحفاظ على بيضة الإسلام، الامر الذي شكل دافعاً قويا للكتابة بشكل معمق عن دور المرجعية الدينية في الجهاد المقدس ضد الاحتلال البريطاني للعراق مطلع القرن العشرين المنصرم.

وعلى هذا الأساس جاء البحث الموسوم (أثر فتوى الجهاد للشيخ محمد تقي الشيرازي(رحمه الله) في قيام الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠م ضد المحتل البريطاني)، ليسلط الاضواء على الدور الحيوي والمهم الذي لعبته المرجعية الدينية في العراق بشكل عام وفي مدن جنوب العراق بشكل خاص في حركة الجهاد ضد الاستعمار البريطاني البغيض بالتعاون من كافة فئات الشعب العراقي واطيافه.

واقتضت طبيعة الدراسة أن نقسّمها الى مبحثين تسبقهما مقدمة وتعقبهما خاتمة، تناول المبحث الأول: التعريف بشخصية الشيخ الشيرازي (رحمه الله) من حيث أسمه الكامل وألقابه ثم نشأته وتعليمه، وسيرته ووصف شخصيته، في حين كُرّس المبحث الثاني عن: الاحتلال البريطاني للعراق وأثر فتوى الجهاد في مقاومة المحتل البريطاني، أما الخاتمة فسطّرنا فيها أهم ما توصلنا إليه من نتائج وبالرجوع الى المصادر والمراجع التاريخية ذات العلاقة.

المبحث الأول: الشيخ محمد تقي الشيرازي: نشأته وتعليمه، سيرته ووصف شخصيته

أولاً: نشأته وتعليمه:

محمد تقي الشيرازي، هو الميرزا[١] محمد تقي بن محب علي بن أبي الحسن بن الميرزا محمد علي الملقب بـ: (كلشن)[٢]، الحائري[٣]، الشيرازي، ولد في مدينة (شيراز) في أيران سنة ١٨٤٠م (١٢٠٦هـ)، ينتسب لأسرة ذات علم وأدب فكان والده الميرزا محب علي من أهل الورع والدين، أما أخوه الأكبر الميرزا محمد علي فكان من كبار رجال الدين في إيران[٤].

---

(١) الميرزا: لقب فارسي يطلق على الشخص الذي يولد من أم علوية، وقديمًا كان يطلق على أبناء الملوك، ينظر: محمد التونجي، المعجم الذهبي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩، ص٥٥٣.

(٢) كلشن: كلمة فارسية تعني روضة الأزهار، وهو البستان الذي تكثر فيه الأزهار. ينظر: التونجي، المعجم الذهبي،ص٥٠٨.

(٣) الحائري: نسبة إلى الحائر الحسيني، وهو حرم الأمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في مدينة كربلاء، ويطلق على المدينة بأجمعها فيقال لساكنها بالحائري لأنه نشأ في كربلاء. ينظر: محمد الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٥، ط٤، بيروت، ١٣١٩هـ / ١٩٧١م، ص٥٤٣؛ وينظر: جاسم محمد ابراهيم اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية عام ١٩٢٠، دراسة تاريخية، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثامن عشر، مركز دراسات الكوفة، الجزء الثالث، القسم الأول، النجف ٢٠١٩م، ص ٢٨٧.

(٤) أغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر في القرن الرابع عشر، ج١، النجف، ١٩٥٤، ص٢٦١؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، مج٦، ط٧، بيروت، ١٩٨٩، ص٩٣ ؛ بسام عبد الوهاب، معجم الأعلام، ط١، قبرص، ١٩٨٩، ص٦٨٨ ؛ سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء، ط٣، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٩١.

درس الشيرازي في سامراء، ثم عاد إلى موطنه (شيراز)، وتصدى فيها لشؤون التدريس والفتاوى الشرعية طوال حياته، وكانت له المرجعية العليا فيها، كما إن عمه ميرزا حبيب الله كان من مشاهير الشعراء في مدينة شيراز [١].

أما أبناء الشيخ محمد تقي الشيرازي فهم ثلاثة أولاد وبنت واحدة وتسلسلهم كالآتي:

١- **الشيخ محمد رضا الشيرازي**: وهو أكبر أبنائه، وساعده الأيمن في تأجيج الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ضد الاحتلال البريطاني، وكان صلة الوصل بين والده والعشائر العراقية الثائرة[٢]. ولقي في سبيل ذلك متاعب ومعاناة كبيرة، إذ أعتقل وأدخل السجن ثم نفي إلى جزيرة هنجام[٣]، في الخليج العربي، ثم أفرج عنه بعد أقل من شهر وسافر إلى إيران وبقي هناك طيلة حياته ولم يرجع إلى العراق، بعد أن شجع الحركة الوطنية ضد الاحتلال البريطاني[٤]، لهذا السبب أتهمته السلطات البريطانية بالميل إلى النزعة البلشفية في روسيا[٥]، وصفته المس بيل (١٨٩٨-

(١) نور الدين الشهر ودي، أسرة المجدد الشيرازي، طهران، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ص ١٨٣.

(٢) أغا بزرك الطهراني، هدية الرازي إلى الإمام المجدد الشيرازي، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٦.

(٣) جزيرة هنجام: جزيرة صخرية موحشة في الخليج العربي، لا تبعد كثيراً عن المضايق، أما حالتها الجوية فحرارتها مرتفعة وتزداد فيها نسبة الرطوبة، وتكثر فيها الحشرات، ينظر: فيليب ويلارد أيرلاند، العراق، دراسة في تطوره السياسي، ترجمة: جعفر خياط، بيروت، ١٩٤٩، ص ٢٠٥.

(٤) عباس الحائري، حوادث الأيام،، قم، ٢٠٠٠، ص ٤٤٣ ؛وينظر: اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية،ص ٢٨٩.

(٥) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: وتعليف جعفر الخياط، ط٢، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م، ص ٤٤٣.

١٩٢٩[١] بقولها: كان سياسياً فعالًا لا يستقر على حال، معارضاً للاتفاقية الإيرانية-البريطانية معارضة مرة، وعلى هذا الأساس فقد كرس جهوده لمناوئة الحكومة البريطانية في العراق، كما أتهمته بأنه يقبض المال من الأتراك، وأضافت المس بيل في وصف الشيخ محمد رضا: (.... ومع أنه لم يكن يعترف به كعالم فأنه كان يتمتع بالاحترام الذي كانت تعامل به أسرة المجتهد الأكبر، كما إن تأثيره على أبيه جعله مرجع أعلى للرأي)[٢]. حيث إن هذه الاتهامات لا تتناسب مع شخصية وطنية تنحدر من أسرة مرجعية فهي لا تتعدى محاولة للنيل من هكذا شخصية بهدف التقليل من دوره الاجتماعي والسياسي من خلال هذه الاتهامات.

صاهر الميرزا حبيب الله الشيرازي على كريمته وهي أخت العلامة الكبير السيد مهدي الشيرازي[٣]، وتوفي سنة ١٩٥٧ في مدينة طهران في إيران [٤].

٢. **الشيخ عبد الحسين الشيرازي**: وهو الابن الأوسط للشيخ محمد تقي الشيرازي، وكان عالماً فاضلاً من أعلام الحوزة العلمية في كربلاء، أتصف بحسن

---

(١) المس بيل: موظفة بارزة في المخابرات البريطانية التي عملت في العراق، رفعت تقارير إلى حكومة الهند البريطانية بصورة مستمرة تناولت فيها أحوال العراق خلال مرحلة الأحتلال البريطاني للعراق. للمزيد ينظر: محمد يوسف إبراهيم القريشي، المس بيل وأثرها في السياسية العراقية،، بغداد، ٢٠٠٣.

(٢) المس بيل، فصول من تاريخ العراق، ص٤٤؛ وينظر: اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية،ص ٢٨٩.

(٣) سيد مهدي الشيرازي: ولد سنة ١٨٨٦م / ١٣٠٤ هـ في كربلاء، درس في عدة أماكن وأصبح أحد علماء الدين البارزين في العراق، للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، النجف الأشرف، ١٩٩٥م، ص ١٦٦- ١٧١.

(٤) أغا بزرك الطهراني، هدية الرازي، ص٦.

الأخلاق وطيبة النفس وحسن المعاشرة [١]، وكان موضع احترام العلماء ومراجع الدين، وديوان مجلسه يحضره جمع غفير من العلماء والأعيان والموظفين والزعماء السياسيين والكسبة [٢]، متزوج وله ولدين الأول محمد علي وعمل حاكمًا في المحاكم الإيرانية والثاني أسمه عبد الأمير وعمل مدرساً في المدرسة المتوسطة الإيرانية في كربلاء، توفي الشيخ عبد الحسين في سنة ١٩٩٢ ودفن في الصحن الحسيني الشريف مع والده.

٣. **الشيخ محمد حسن الشيرازي**: وهو أصغر أبنائه، عمل قاضياً في محكمة التمييز العليا في العاصمة الإيرانية طهران، توفي سنة ١٩٨٦م [٣].

٤. **أما بنات الشيخ محمد تقي الشيرازي**: فله بنت واحده فقط [٤]كما ذكرنا، صاحب ثورة التنباك في إيران عام ١٨٩١م والشيخ محمد تقي الشيرازي، فليست هناك صلة قرابة بينهما لكن كلاهما في مدينة شيراز في إيران ولكنهما ليسا من أسرة واحدة وتربطهم صلة مصاهرة بين الأسرتين وهناك من يقول أن الشيخ محمد تقي الشيرازي هو من أخوال السيد محمد حسن الشيرازي)[٥]، والثاني استاذ الأول كما سنرى في الصفحات اللاحقة.

---

(١) نور الدين الشهر ودي، أسرة المجدد الشيرازي، ص ١٩٢.

(٢) نور الدين الشهر ودي، أسرة المجدد الشيرازي، ص ١٩٢.

(٣) نور الدين الشهر ودي، أسرة المجدد الشيرازي، ص ١٩٢.

(٤) ومن الجدير بالإشارة هنا إن التشابه بالأسماء والكنى قد يوقع البعض في اللبس بين المجتهدين الشيرازيين، السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي)، أغا بزرك الطهرانى، هدية الرزاي، ص٦؛ وينظر: اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية،ص ٢٨٩.

(٥) شهاب الدين المرعشي، الإجازة الكبيرة، قم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١١٧.

ثانياً: سيرته ووصف شخصيته:

تشير العديد من المصادر التاريخية والشخصيات التي عاصرت الشيخ محمد تقي الشيرازي إلى أنه شخصية تمثلت بالعديد من الصفات التي تنم عن قدرات ذهنية عميقة في العديد من العلوم المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. كما عبرت عن قدرات قيادية حكيمة وفي ذلك يقول عنه السيد حسن الصدر: ((عاشرته عشرين عاماً فما رأيت منه زلة ولا أنكرت عليه خله، وباحثته اثنتي عشر سنة فما سمعت منه إلا الأنظار الدقيقة والأفكار العميقة والتنبيهات الرشيقة...[١]، وعلق أحد تلامذته وهو العلامة أغا بزرك الطهراني على هذا الكلام (أي كلام حسن الصدر) بقوله: ((أقول وقد تلمذت على يديه (يقصد الشيرازي) وحضرت بحثه ثمان سنين فتأكدت لدي صحة كلام سيدنا الصدر، وبانت لي حقيقة وصدق الخبر، وتحققنا من ذلك عن طريق السمع والبصر[٢].

لم تشغله همومه عن تصديه لأعباء وصعوبات المرجعية وأعماله الكثيرة عن النظر إلى أمور المسلمين، فكان بيته المتواضع في مدينة كربلاء منتدى للزعماء السياسيين ورؤساء العشائر العراقية، ويزحم بالكثير من الناس من مختلف الطبقات، فضلاً عن علماء الدين في معظم الأوقات[٣]، وكان الناس يعتبرونه قائداً لهم بسبب ما يمتلكه من صفات ومؤهلات، وعندما تصدى لقيادة الثورة العراقية

---

(١) حسن الصدر، تكملة أمل الأمل، بيروت،١٩٨٦، ص ٢٤٢؛ عبد الرحيم العقيقي البخشايشي، كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين، ط١، بيروت، ٢٠٠٢، ص١١٦.

(٢) نقلًا عن أغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ص٢٦٢.

(٣) نور الدين الشهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، ص ١٨٥؛ وينظر: اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية،ص٢٩٠.

الكبرى عام ١٩٢٠ ضد البريطانيين، ولم يشغله هذا العمل الكبير عن إصدار الفتاوى والتشريعات الدينية، وظل يستقبل الناس وينظر في مشاكلهم الخاصة والعامة[١]، وبهذا الصدد نقل عن أحد طلابه وهو السيد شهاب الدين المرعشي النجفي قوله: ((عندما كانت الثورة العراقية مشتعلة الآوار وكان جهاد الشعب العراقي المسلم ضد الاحتلال البريطاني على أشده، كان المغفور له الشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي بمثابة ثقل هذه الثورة ومحور الحركة الدينية والدنيوية....، وأضاف المرعشي إن الشيخ محمد تقي الشيرازي التقى بهم وقال لهم (أيها السادة طلاب العلم الأجلاء ترون بأنفسكم كيف أن رجال العشائر ورجالات السياسة يحوطون بي ويزدحمون حولي وكيف أن الحرب مع الإنكليز تأخذ كثيراً، فأضاف أن واحداً منكم له حاجة معي ولا يمكنه الوصول إلي.... ووضع الشيرازي حلاً لهذه المشكلة بأن يقوم بالمشي إلى جانب نهر الحسينية بعد صلاة الفجر من كل يوم ليأتيه الناس إلى هناك للنظر في أمورهم ومشكلاتهم، ويقول المرعشي عن ذلك ((..رأيته بنفسي (ويقصد الشيرازي) عدة مرات في الصباح الباكر وهو يمشي هناك أنتظاراً منه للقاء من له حاجة أو مسألة منه[٢].

كان الشيخ محمد تقي الشيرازي في غاية الحلم والصبر، لم يحدث أن غضب في وجه أحد من الناس حتى من أساء إليه، ولم يكن ينظر إلى الأعلى بل كان منحني

---

(١) سلمان هادي آل طعمة، معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء، ط١، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٨٧.

(٢) شهاب الدين المرعشى، المسلسلات من الأجازات، قم ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، ص٩٣؛ لجنة أحياء تراث الإمام الشيرازي، في رحاب قائد ثورة العشرين الإمام الميرزا محمد تقي الشيرازي، ط١، كربلاء، ٢٠٠٤، ص ٣٣ ؛ نور الدين الشهرودي،أسرة المجدد الشيرازي، ص ١٨.

الرأس حتى إنه لم يكن ينظر إلى وجوه طلابه أثناء الدرس[١].

سأل أحد تلامذته وهو الشيخ محمد كاظم الشيرازي عن عدله وتقواه وزهده، فأجاب بالقول: ((لا تسألني عن عدله وتقواه وكلمات كهذه، بل أسألني عن عصمته وقل لي هو إنسان معصوم أم لا، أي إنه في الكمال الروحي قد وصل إلى مرتبة عالية [٢].

كان الشيخ الشيرازي زاهداً إلى حد بعيد في مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه، وكانت داره مستأجرة، على الرغم من وصول أموال كثيرة إليه من الدول الإسلامية، ولم يكن متقيداً بمظاهر الزينة ولا مكترثة بمباهج الحياة وزخارفها لا في الملبس أو المسكن أو المأكل[٣]، كما كان يحترم كل من يقابله بمنتهى الأدب والتواضع[٤]، وكان دقيقاً في أصدار فتاويه حذراً أشد الحذر لمعرفته بخطورة ما يصدر لأنه رجل الدين المجتهد تكون مهمته في غاية الخطورة وأن أي زلة أو خطأ منه في إصدار الفتاوى تجعله يتحمل وزر مقلديه وكل الذين أتبعوا الفتوى التي أصدرها لهم، وقد نقل عن

---

(١) وفي هذا السياق فقد روى أحد المقربين من الشيخ الشيرازي أنه كان في قافلة مسافرة من مدينة سامراء إلى بلدة سيد محمد) وحاول أحد المسافرين إثارة غضب الشيخ الشيرازي، وقد راهن أحد أصدقائه الذين كان معهم على ذلك، فأخذ هذا الرجل يجادل ويناقش الشيخ الشيرازي في المسائل الفقهية والدينية ويخالفه الرأي بعنف وشده، لكن الشيخ الشيرازي لم يغضب لذلك وعند ذلك أبدى الرجل إعجابه واحترامه للشيخ الشيرازي أضعاف ما كان عليه من قبل.

(٢) أغا بزرك الطهراني، هدية الرازي، ص ٦.

(٣) لجنة أحياء تراث الإمام الشيرازي، في رحاب قائد ثورة العشرين الإمام الميرزا محمد تقي الشيرازي، ص١٢.

(٤) نور الدين الشهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، ص١٨٨؛ وينظر: اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية،ص ٢٩١.

السيد محسن الحكيم[١] عن وصف الشيخ الشيرازي حيث قال: ((لقد كان سماحته رجل دين ودنيا بما للكلمة من معنى...[٢]. وكان الشيخ الشيرازي حريصاً يقوم هو بنفسه بمهامه الشخصية ولا يكلف فيها أحداً من الناس أبداً[٣].كان يحمي المستجير به بقوله (يجب إجارة المستجير إن كان غير مسلم، فيكف بمن هو مسلم فر من كافر حربي ؟) ويقف إلى جانب المظلوم ضد الظالم مهما كان جبروته وعظمته، وبهذا الصدد ذكر أحد الأشخاص المقربين من الشيخ الشيرازي، إنه في إحدى المرات وعندما كان الشيرازي في مدينة الكاظمية لأداء مراسيم زيارة الإمام الكاظم عليه السلام التجأ إليه أحد الأشخاص وكان من أسرة (الشهبندر) مستجيراً به فقد أصدرت عليه السلطات البريطانية حكماً بالإعدام عليه بسبب قتله أحد الجنود البريطانيين، وبدأت السلطات البريطانية بتوسيط بعض الأشخاص لاسترداد المطلوب لهم، لكن جميع الوساطات التي أرسلها البريطانيون لم تفلح في تحقيق مبتغاهم حيث ردّهم الشيرازي، وبدأت السلطات البريطانية باستعمال التهديد والوعيد للشيخ

---

(١) السيد محسن الحكيم (١٨٨٩- ١٩٧٠) ولد في النجف الأشرف في بيت علم ودين وتقوى شارك في عمليات الجهاد ضد الغزو البريطاني عام ١٩١٤م، أصبح مرجعا أعلى للمسملين الشيعة عام ١٩٥٢، للمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية ينظر: عدنان إبراهيم السراج، السيد محسن الحكيم (١٨٨٩- ١٩٧٠م)، ط١، بيروت، ١٩٩٣.

(٢) نقلًا عن لجنة إحياء التراث الإمام الشيرازي، في رحاب قائد ثورة العشرين الإمام الميرزا محمد تقي الشيرازي، ص٤٦.

(٣) ففي إحدى المرات وبعد أن أتم صلاة المغرب والعشاء في مسجد (السهلة) لم يلبث أن توقف فجأة وكأنه فقد شيئاً يبحث عنه، فسأله أحد الأشخاص من المقربين منه فلم يجبه الشيخ بل تراجع عن مسيره وأتجه إلى مسجد السهلة ملتفتاً إلى الناس يأمرهم بمواصلة السير، حتى إذا وصل إلى مصلاه أخذ قلمه ومحبرته اللتين نساهما هناك ثم رجع متجهاً إلى مسجد الكوفة، وكان ذلك حرصاً منه إن يقوم هو بمهامه الشخصية ولا يكلف فيها أحداً.

الشيرازي الذي ظل على موقفه الثابت، عند ذلك اضطرت السلطات البريطانية التنازل عن حكم الإعدام وأصدرت عفواً عن الشخص المطلوب ورجع الرجل آمنا إلى بيته.

أما عن أسلوبه في التدريس فقد ذكر عن أحد طلابه قائلا: ((كان سماحته يمتاز بأسلوبه الخاص في تدريسه، ومن جملتها أنه إذا اشتد النقاش بين الطلبة وعلا بحثهم وارتفعت أصواتهم، لم ينهرهم الميرزا (يقصد الشيخ الشيرازي) بل يتركهم وشأنهم ويشتغل هو بالذكر والتسبيح والتهليل إلى أن ينحل نزاعهم وتهدأ أصواتهم...[١]، ولم يكن متزمتاً برأيه أو يفرض توجهاته على أعوانه ومساعديه، وإنما كان يستشيرهم في كل صغيرة وكبيرة في مرحلتي السلم والحرب، وكانت جميع أموال الزكاة والخمس التي تأتيه من مختلف البلدان الإسلامية ينفقها على الفقراء والمحتاجين، ولاسيما خلال مرحلة الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ حيث مرت على الناس أوقات وظروف اقتصادية عصيبة، وكان مخصص لكل بيت ديناراً ذهبياً مسكوكاً[٢].

ولعل من المآثر المهمة في سيرة الشيخ الشيرازي هو أيمانه بالوحدة الإسلامية والتسامح الديني مع بقية الأديان الأخرى، فقد عمل الشيخ الشيرازي على التوفيق بين طائفتي السنة والشيعة، وأوصى بالمحافظة على سائر الملل والنحل وحسن معاملتهم [٣]، وعيلى دور الشيخ الشيرازي في توحيد كلمة المسلمين قال البازركان: ((زينا للشيعة الصلاة في مساجد السنة كما زينا للسنة الصلاة في مساجد

(١) اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية، ص٢٩٣.

(٢) شيخ مرتضى انصاري، زندگاني وشخصية شيخ انصاري، جاب سوم، قم، ١٩٨٩م، ص٤٠٨.

(٣) مي بصري، أعلام الأدب في العراق الحديث، لندن،١٩٩٩، ص ٣٦٤.

الشيعة وقد بارك تلك الفكرة وشجعها الميرزا محمد تقي الشيرازي.....[١]، وقد وصف دور الشيخ الشيرازي في هذا المجال، بأنه: ((عمل بكل جهد ووسيلة لإزالة النعرات الطائفية، والفوارق الإقليمية، والعصبات القبلية، ونسيان الأحقاد العشائرية وبفضل هذه المساعي توحدت الصفوف....[٢].

ودلالة على توجهاته التوفيقية فقد علّق محمد مهدي البصير على الدور الكبير الذي قام به الشيخ الشيرازي في رص الصفوف بين أبناء الشعب العراقي بالقول: ((... عرف المفكرون السُنيون ما للرجل (ويقصد الشيرازي) في المنزلة العظمى فصاروا يتقربون منه ليستعينوا بنفوذه الديني الواسع على تحقيق مقاصدهم السياسية فكان رحمه الله يؤيد الصلات الودية المتبادلة بين الشيعيين والسنيين بكل قواه....[٣].

ووصفه عبد الرزاق الحسني بأنه: ((زعيم روحي كبير، صادق العزيمة نافذ الكلمة، واسع النفوذ...[٤]، أما عبد الله الفياض فقال عنه: ((كان من رجال الدين الأفذاذ الذين واكبوا سير الحركات التحررية في عصورهم ووجهوا مؤيديهم لخدمة مصلحة الوطن العليا[٥].

---

(١) علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٥٤، ص٥.

(٢) الياسري، عبد الشهيد، البطولة في ثورة العشرين د، م، ط١، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠١٠، ص١٣٢؛ وينظر: اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية، ص٢٩٣.

(٣) محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ج١، بغداد، ١٩٢٤، ص١٩٠.

(٤) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، الطبعة الثانية، مطبعة العرفان، لبنان-١٩٩٥، ص٩٦.

(٥) عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ط٢، مطبعة الشريد، بغداد، ١٩٧٥ص٢١١.

أما المسؤولون البريطانيون فقد وصفوا الشيخ الشيرازي بأوصاف قاسية تظهر مدى الحقد الذي كانوا يكنونه له بسبب مواقفه المناهضة لهم. ومنهم أرنولد ولسن[١] (نائب الحاكم المدني في العراق) حيث قال عنه: ((ميال جداً إلى تقليل نفسه وغيره من العالم،... كما إنه لم يكن محظوظاً في نسله...، و كانت تنتابه هواجس الادعاء بالسلطة الزمنية التي كانت يعتقد أنها ناشئة عن تفوقه الثيوقراطي[٢]. كما وصف الشيخ الشيرازي وأتباعه بالجبن والطائفية، كما أنهم ويلسن الشيخ الشيرازي بأنه يسعى من أجل الحصول على السلطة وأتهم أنصاره بأنهم زوروا توقيعه[٣].

أما المس بيل فقد وصفت الشيخ الشيرازي، حين وصفته بأنه: (رجل خرف عجوز يستولي عليه أبنه محمد رضا بصورة كلية....)[٤]، وأيدها في ذلك بعض المؤرخين الأجانب[٥]، كما قالت إنها فرحت كثيراً عندما سمعت بنبأ وفاته وأدعت

---

(١) أرنولد ويلسن ١٨٨٤- ١٩٤٠ عسكري وسياسي ريطاني قدم مع الحملة العسكرية البريطانية إلى العراق عام ١٩١٤ تحت أمرة المقدم برسي كوكس وكان ويلسن آنذاك ضابط برتبة نقيب، ثم عين حاكماً عاماً بالوكالة بعد استدعاء برسي كوكس وتعينه سفيراً في طهران، أتهمته الصحافة البريطانية بأنه يسعى إلى (تهنيد) العراق أي جعله تابعاً إلى الهند، قتل ويلسن خلال الحرب العالمية الثانية أثناء أدائه للخدمة العسكرية في القوة الجوية البريطانية. ينظر: فؤاد قرانجي، العراق في الوثائق البريطانية (١٩٠٥- ١٩٣٠)، بغداد، ١٩٨٩، ص٢٦؛ مذكرات سندرسن باشا (طبيب العائلة الملكية في العراق ١٩١٨- ١٩٤٦) ترجمة: سليم طه التكريتي، ط٢، بغداد، ١٩٨٢، ص ٥٤-٥٥.

(٢) اليساري، الشيخ محمد تقي الشيرازي، ص ٢٩٣.

(٣) أرنولد ويلسن، الثورة العراقية، ترجمة: وتعليق: جعفر الخياط، ط٢،، لبنان، ٢٠٠٤، ص ١٣٩ -١٤١.

(٤) المس بيل، العراق في رسائل المس بيل، ترجمة: وتعليق جعفر الخياط، بغداد، ١٩٧٧، ص١٩٧.

(٥) فيليب ويلارد أيرلاند، العراق، دراسة في تطوره السياسي، ص١٩٤.

إن وفاته جاءت بسبب التعفن الشيخوخي)[١]، وهي كلمة قاسية تدل على مدى الشماتة والعداء الذي كان يضمره البريطانيون له بسبب مواقفه ودوره في تأجيج الحماس الوطني لدى الشعب العراقي من الشمال إلى الجنوب ضدهم.

المبحث الثاني: الأحتلال البريطاني للعراق وأثر فتوى الجهاد في مقاومته:

بعد أن تمكن البريطانيون من احتلال العراق، وضعوا وعودهم التي أعلنها الجنرال مود يوم احتلاله بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ خلف يظهورهم، هادفين أن يستنسخوا تجربتهم في الهند لغرض تطبيقها في العراق، إلا إنهم واجهوا رفضاً جماهيرياً واسعاً، ساندته جملة من الفعاليات المعززة للتوجه. تعززت الوحدة الوطنية مرة أخرى من خلال موقف الحوزة العلمية في النجف الاشرف من الاستفتاء العام الذي قامت به إدارة الاحتلال البريطاني في العراق عام ١٩١٨، حول تأسيس حكومة وطنية فيه يكون المندوب السامي السير (بيرسي كوكس) رئيساً لها، وحينما عرض البريطانيون أشكال ذلك التوجه، أصدر المرجع الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي فتواه التوضيحية لعموم مسلمي العراق، إذ جاء فيها: ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب أو يختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين[٢]. وقد عد انتقال المرجع الشيخ الشيرازي إلى كربلاء المقدسة ضربة

---

(١) المس بيل، العراق في رسائل المس بيل، ص٤٦٣ ؛ وينظر: وجدان فريق عناد وستار جبار الجابري، حركة الجهاد في فكر الشيخ محمد تقي الشيرازي، بحث منشور ضمن وقائع اعمال المؤتمر العلمي الدولي الثامن عشر (المرجعية أثرها في بناء الأنسان)، مركز دراسات الكوفة، الجزء الثالث، القسم الاول، النجف، ٢٠١٩، ص ٣٠.

(٢) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث،، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٧٤،، ج٥، ص١٠٣؛ عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث،، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السابعة، بيروت، ٢٠٠٨، ج١، ص١٢٩-١٣٠؛ عبد الرزاق الحسني، الثورة

حقيقية للإدارة البريطانية كونه عمل على إعادة توحيد العراقيين من خلال الوحدة التي قامت بين القوميين ورجال الدين وشيوخ العشائر خلال الحقبة من أيار ١٩١٨ وحتى نيسان ١٩٢٠، إذ جرى التوقيع على مضابط من كافة الجهات العشائرية ورجال الدين ومثقفي الفرات الأوسط على الاستقلال التام والحكم العربي[١]، وما كان ذلك ليحدث لولا نفوذ الشيخ الشيرازي وابنه محمد رضا بعد عودتهما من سامراء، إذ توضح تأثير ذلك في دور الحوزة العلمية في تحقيق الوحدة الوطنية العراقية الذي أضفى الطابع القومي للحركة وأكسبها سمات (دينية)، فكان اجتماع القوميين والإسلاميين على استقلال العراق التام وقيام الوحدة الوطنية العراقية في ظل ملك دستوري من أنجال الشريف حسين أتاح هذا البرنامج قيام وحدة وطنية عراقية [٢]. هذه الفتوى، هي من نشطت وأسندت الدعوة العراقية لإنجاز هدف الاستقلال وانتخاب أمير عربي على العراق، حينما جعلت الدين والوطنية، يجريان باتجاه واحد، هدفه الأساس الوطن والمواطن. وقد عزز ذلك النشاط بإرساله رسائل لجميع قادة الدول الكبرى المجتمعين في مؤتمر فرساي لإقرار السلم العالمي عام ١٩١٩، يدعوهم لإسناد المطالب العراقية بنيل الاستقلال. كما كتب رسالة طويلة للرئيس الأمريكي «ودرو ويلسون» يذكره فيها بنقاطه الأربع عشرة، ويطلب تدخله لإنجاز الاستقلال وإبعاد البريطانيين عن الإشراف على الشؤون

العراقية الكبرى، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٢، ص ٣٧.

(١) وميض عمر نظمي وآخرون، التطور السياسي المعاصر في العراق، مطبعة جامعة صلاح الدين، ١٩٨٩، ص٣٥٣.

(٢) نظمي وآخرون، التطور السياسي المعاصر في العراق، ص ٣٧٣.

العراقية[١].

لقد كان الإمام الشيرازي على معرفة جيدة ومطلعة على قدرات الطرفين البريطاني والعراقي والتي تميل لصالح المحتل، ولذلك فإنه دعا العراقيين إلى سلوك النهج السلمي للمطالبة بحقوقهم «تظاهرات واعتصامات، ومؤتمرات، ومذكرات ورسائل احتجاج،....الخ «تقديراً منه، بطرق كل أبواب العمل المتاحة في حينه[٢].

كما كان جهده متميزاً وواضحاً في بلورة وتحشيد جهد جميع العراقيين في مطالبهم بالاستقلال في أعوام ١٩١٩ و ١٩٢٠، بحيث كانت شخصيته محور التجمع لجميع الفئات في شكل نشاطها. وكان مقره في كربلاء بعد انتقاله لها من سامراء، لرغبته في أن يكون قريباً من نبض الميدان، لا يخلُ من أحد الموفدين من مختلف أنحاء العراق، ولعل توجيهه بانتخاب ممثلين عن الشعب لمواجهة سلطات الاحتلال، ونقل رغبات الشعب بالتحرر والاستقلال، يمثل نقلة نوعية لشكل التوجه المطلوب لإنجاز الاستقلال، لاسيما وانه دعم ذلك التوجه بكتابين أساسيين، يحث الجميع على العمل بهما، وفقا لهذا الاتجاه [٣].

إن تجاهل المحتل لرغبات الشعب، دفع الجميع لتغيير اتجاه أشكال المطالبة، وتصعيدها بما يمكنها من التأثير في شكل وصناعة القرار السياسي الخاص بالعراق، بحيث بدت أنشطة الحركة الوطنية العراقية، تؤثر في مجمل أوضاع المحتل، ولذلك ارتأت إدارته، بنفي عدداً من رجال الحركة الوطنية، خارج العراق، وكان من بينهم الميرزا «محمد رضا الشيرازي» نجل الإمام الشيرازي، لكن ذلك لم يكن حادثاً

(١) نظمي وآخرون، التطور السياسي المعاصر في العراق، ص ٢٣٥.

(٢) الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ص ٢٤٣؛ وينظر: عناد والجابري، حركة الجهاد، ص٣١.

(٣) علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، ط٢، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٩١، ص١٢٠-١٢٢.

يوقف نشاط الإمام في التوجه نحو تحقيق أهداف الوطنيين العراقيين الرامية للتحرر والاستقلال، وطلب سماحته من قادة الرأي والعشائر، عدم ربط عودة ابنه كمعادل للأهداف الوطنية حينما يطرحها المحتل كتسوية[١].

فضلاً عن ذلك فإن انسحاب أو تراجع بعض القيادات الدينية العراقية المؤثرة، في دعم مطالب العراقيين أو تمسكهم في الابتعاد عن إعطاء رأي واضح وصريح في ما يخص الاستقلال والنشاط السياسي. هذا الأمر دفع القيادات الميدانية في بغداد والنجف الاشرف ومناطق الفرات الأوسط، أن تودع للشيرازي زعامة الثورة روحياً، إزاء ما عرف عنه من جرأة وحزم وإقدام، لاسيما انه ترافق مع ذلك التوجه، انتقال الزعامة المرجعية له، بعد وفاة سلفه، «الشيخ كاظم اليزدي» في نيسان ١٩١٩، مما أضفى على معسكر الاستقلاليين، الكثير من القوة والجرأة والحزم، وهما ما كانت تحتاجه الأوضاع السائدة آنذاك [٢].

لقد كان لشخصية الإمام الشيرازي الوطنية والمخلصة والأمينة والراعية لحقوق المسلمين عموماً دوراً أساسياً في وحدة المسلمين في العراق، بغض النظر عن مذاهبهم أو مللهم، وهذا ما كان واضحاً في الفعاليات التي سبقت الثورة، والتي كانت تتوشح دوماً بعلم وموافقة الشيرازي المعنوية والدينية، مما أعطاها زخماً قوياً ومؤثراً. لقد كان سماحته يرجو حصول العراقيين على مطالبهم من خلال الاتجاهات والفعاليات السلمية، لكن فشل ذلك الاتجاه جراء تعنت البريطانيين وغرورهم، دفعه أن يكون راية الثورة وعلمها والمسند الأول والأخير لها، وصاحب الكلمة

(١) الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص ٨٣.

(٢) البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، ص ٩٢-٩٨.

النهائية في تقريراتها، حيثما تستوجبها الحاجة[١].

لقد بقيت الآثار الدالة على روحية الجهاد، كامنة في نفوس جميع العراقيين الذين خبت نفوسهم إزاء عدم انطباق ما قاله الجنرال مود بأنهم «جاءوا محررين وليس محتلين» مع وقائع ما يحدث، لذلك كانت الأبواب مشرعة نحو الثورة التي كانت تنتظر ملهماً لها، وهذا ما تكفّل به الإمام الشيرازي حينما وضعته الأقدار، رجل الساعة المطلوب لإدارة دفة العمل. ولم يخيب الرجل رجاء وأمل من وضعوا على عاتقه هذه المسؤولية. لأنه بعد أن فشلت الوسائل السلمية في إقناع السلطات البريطانية بتغيير موقفها تجاه مطالب العراقيين المشروعة، فقد التقط لحظة المستقبل البادية في الأفق، رغم ما يحيط بها من ضباب وأمل مؤجل، حينما أذن بالثورة، لأنها القادرة على تغيير كامل الأوضاع، أمام جبروت وغرور محتل طاغ، لا يتورع عن أي شيء في سبيل ديمومة احتلاله، بما يمكنه من نهب وسرقة ثروات وخيرات البلد، ولذلك كان رده على من استفتاه من الزعماء والرؤساء، في جواز القيام بالثورة ضد المحتل، بإصداره فتوى أجاز فيها الثورة المسلحة، سميت بالفتوى الدفاعية جاء نصها كالأتي: «مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب من ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية، إذا امتنع الانكليز عن قبول مطالبهم» [٢].

وقد ترافق مع تلك الفتوى، حادثة الرميثة[٣]، التي أرخت كبداية للثورة في ٣٠

---

(١) الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٥، ص ٢٣٤.

(٢) الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ص ٢٣٨؛ وينظر: عناد والجابري، حركة الجهاد، ص٣٤.

(٣) حادثة الرميثة: اعتقل حاكم الرميثة البريطاني الشيخ شعلان أبو الجون شيخ عشيرة الظوالم من قبائل بني حجيم، بحجة تأخره بسداد الضرائب المترتبة عليه، لكن واقع الحال أن اعتقاله جاء تحسباً من تأثيره وفعاليته في ادامه زخم الثورة التي بدأت تباشيرها تتضح. وقد ارسل له ابن عمه الشيخ «غثيت الحرجان» قوة اقتحامية مكونة من عشرة أفراد من أبناء العشيرة، نجحت في=

حزيران ١٩٢٠، مما قطع على المترددين كل خيارات الموادعة والرجاء التي كانوا يأملونها عند الطرف البريطاني، بحيث بدأ أن خيار العنف والقوة، هما الفاصل في شكل النتائج النهائية للصراع. ونرى إن فتوى سماحته، بمباركة الثورة، جاءت بعد تيقنه بعدم تغير القناعات البريطانية الخاصة بموضوع الاستقلال، وهذا أمر يتعارض ورغبة عموم الناس، ويتقاطع في الوقت نفسه مع مزاجية وقناعات الإمام الشيرازي، كما إن فتواه للثورة جاءت رغم إدراكه بعدم توازن القوى عند طرفي الصراع، لكنه عبر عن صميمية وطنية خالصة ونزعة ثورة متميزة، لا تتهيب من مواجهة الصعاب والتصدي لها. كما إن فتواه هي من سيّرت مسالك الثورة وأدامت زخمها للمرحلة التي امتدت بها، إذ كان لوجوده ودعمه المتواصل للثوار قوة دفع مضافة لقدراتهم على الطاولة، ولذلك، وبدون تجنٍ على أحد أو تجاوز على حقوق الآخرين، فإننا نرى إن فتوى سماحته هي من أسست العراق الحديث، بغض النظر عما قيل سابقاً ولاحقاً على أحداث الثورة ونتائجها النهائية، فضلاً عن ذلك، فإنه لولا تلك الفتوى لما قاتلت العشائر تلك المدة خمسة شهور، إذ كانت لقاءاته مع الثوار متواصلة وأساسية للعمل المشترك[١].

وما أشبه اليوم بالبارحة، فلقد كان لفتوى الجهاد الكفائي الذي أعلنته المرجعية العليا في النجف الأشرف، ضد عصابات داعش الأرهابية الأثر الأكبر والحاسم في الحيلولة دون تقسيم العراق ومنع داعش من التسلط على البلاد والعباد، وأن تلك

=تحرير «أبو الجون» واطلاق سراحه، وأرخت هذه الواقعة كبداية لثورة العشرين. وقد ظلت عشائر بني حجيم تقاتل البريطانيين طوال أيام الثورة، ولم تلق سلاحها اعتباطاً، إلا بعد اتفاق متبادل بين الطرفين. وكانت وقائعها في «الرارنيجة» والعارضيات» والتي اوقعت بالبريطانيين خسائر كبيرة.

(١) رشيد الخيون، المشروطة والمستبدة،ط١، منشورات معهد الدراسات الأستراتيجية، =

المهمة هي أشرف وأقدس المهمات حيث الحفاظ على وحدة العراق وحمايةشعبه وأرضه وعرضه، حيث أستطاعت مرجعية النجف أن توظف كثير من الممكنات العميقة التي تملكها قوته في صيانة وحدة العراق. ولهذا يمكننا القول إن الدور الذي أضطلعت به مرجعية النجف في تاريخ العراق الحديث والمعاصر والفتوى التي صدرت عنه ما هي إلاّ (فتوى من أجل السلم) ومن أجل تحرير الأنسان والأرض من بطش وظلم الغازي المحتل سواءً أكان ذلك المحتل بريطانياً أم داعشياً. وأن هذا النداء (الفتوى) قد خاطب جميع العراقيين بجميع طوائفهم وقومياتهم.

عموماً لقد استمر تصاعد قوة ثورة العشرين بشكل متنام، لكنها واجهت ضربة موجعة، تمثلت بوفاة ملهمها وقائدها الروحي الإمام الشيرازي في ١٣ آب ١٩٢٠، مما خلف أثراً بيناً على نشاط وفاعلية الثوار، رغم إن خليفته في المرجعية شيخ الشريعة الأصفهاني سلك طريق الدعم والإسناد للثورة ومنهجها، ساعده في ذلك وجود الشيخ مهدي الخالصي أحد أبرز القيادات الحركية والثورية في تاريخ العراق المعاصر، قد حافظ على روحية العمل الثوري[1]، إلا إن آثار غياب الشيرازي كانت واضحة، لاسيما في تحلل بعض القيادات العشائرية من وعودها التي كان وجود الإمام الشيرازي حياً، تأكيداً على التزامها. ولا نجد مبالغة، حينما نقول، إن الثورة قبل وفاته كانت شيئاً، وتبعد وفاته أصبحت شيئاً آخر، رغم عدم انحرافها عن مساراتها الأساسية التي رعى نموها منذ وقت طويل. لقد كان فعل القيادات الدينية الداعمة للثورة محل استهجان وعدم رضى وقبول من قبل السلطات البريطانية، ولذلك أبغض البريطانيون، الإمام الشيرازي لأنهم وجدوه خارج إطار تأثيراتهم،

=بغداد-بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٧٧؛ وينظر: عناد والجابري، حركة الجهاد، ص٣٣.

(١) الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ص ٢٣٨؛ وينظر: عناد والجابري، حركة الجهاد، ص٣٤.

مع تباعده عن نغمة الطائفية التي يجيد البريطانيون وأعوانهم من المعتاشين عليهم العزف عليها، مع تطلعه الشديد لانجاز الاستقلال بإصرار لا يلين، ولذلك فانه لا نجد غرابة حينما يصفه البريطانيون بكل ما هو مسيء لسماحته[١]، لكنه بزهم بكل مزاياه حين وضع معادلة القوة الوطنية كمعادل لقوة الاحتلال، مراهناً بكل طاقاته وجهوده وزخمه المعنوي والاعتباري، على القوة الوطنية، دون أن يعير للسلطة واغراءتها أي اهتمام أمام الأهداف الوطنية وبذلك فإنه يطل على المشهد التاريخي العراقي في أي وقت، دون أن يكون من حق غيره الادعاء بذلك، لجهاديته ومبدئيته وإسهاماته الايجابية في بناء الوطن العراقي ونظرته الشمولية للإسلام التكاملي.

خاتمة:

* يعد الشيخ محمد تقي الشيرازي أحد أهم الشخصيات في تاريخ العراق المعاصر، ذلك أنه كان من أبرز زعماء حركة الجهاد التي واجهت غزو الجيوش البريطانية للعراق. ويعود له الفضل بحدثين كبيرين، لولاهما لما تشكلت الدولة العراقية الحديثة، وهما فتواه التي حرمت اختيار غير المسلم لحكم المسلمين عندما كانت الإدارة البريطانية تفكر بحكم العراق حكماً مباشراً، بنظام شبيه بحكمهم في الهند. والحدث الثاني فتواه في ثورة العشرين، تلك الفتوى التي اججت الثورة وأدامت زخمها، ذلك أنه أصبح القائد والملهم للثوار وزعماء العشائر العراقية.
* أستطاعت مرجعية النجف أن توظف كثير من الممكنات العميقة التي تملكها قوته في صيانة وحدة العراق في تاريخه الحديث والمعاصر، وذلك من خلال الفتوى التي كان لها الدور الأكبر في بلورة وتحشيد جهد جميع العراقيين ضد

(١) الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٥، ص ٦٥.

المحتل البريطاني والداعشي، وتوحيد العراق أرضاً وشعباً ضد أي عدوان خارجي، والحصول على حقوقه وأستقلال شعبه.

المصادروالمراجع:

١. أنصاري، شيخ مرتضى، زندگاني وشخصية شيخ انصاري، جاب سوم، قم، ١٩٨٩م.

٢. أيرلاند، فيليب ويلارد، العراق، دراسة في تطوره السياسي، ترجمة: جعفر خياط، بيروت، ١٩٤٩.

٣. البازركان، علي، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، ط٢، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٩١.

٤. البازركان، علي، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٥٤.

٥. بصري،مي، أعلام الأدب في العراق الحديث، لندن،١٩٩٩.

٦. البصير، محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ج١، بغداد، ١٩٢٤.

٧. بيل،ألمس، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: وتعليف جعفر الخياط، ط٢، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.

٨. بيل، ألمس، العراق في رسائل المس بيل، ترجمة: وتعليق جعفر الخياط، بغداد، ١٩٧٧.

٩. البخشايشي، عبد الرحيم العقيقي، كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين، ط١، بيروت، ٢٠٠٢.

١٠. التونجي، محمد، المعجم الذهبي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩.

١١. الحائري،عباس، حوادث الأيام، ج١، قم، ٢٠٠٠.

١٢. الحسني، عبد الرزاق، تاريخ العراق السياسي الحديث،، دار الرافدين للطباعة

والنشر والتوزيع، الطبعة السابعة، بيروت، ٢٠٠٨.

١٣. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٢.

١٤. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ط٢، مطبعة العرفان، لبنان، ١٩٩٥.

١٥. حرز الدين، محمد، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، النجف الأشرف، ١٩٩٥م.

١٦. الخيون، رشيد، المشروطة والمستبدة،ط١، منشورات معهد الدراسات الأستراتيجية، بغداد- بيروت، ٢٠٠٦.

١٧. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط٧، بيروت، ١٩٨٩.

١٨. السراج، عدنان إبراهيم، السيد محسن الحكيم (١٨٨٩- ١٩٧٠م)، ط١، بيروت، ١٩٩٣.

١٩. الشهر ودي، نور الدين، أسرة المجدد الشيرازي، طهران، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٢٠. الصدر، حسن، تكملة أمل الأمل، بيروت،١٩٨٦.

٢١. الطهراني، أغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر في القرن الرابع عشر، ج١، النجف، ١٩٥٤.

٢٢. الطهراني،أغا بزرك، هدية الرازي إلى الإمام المجدد الشيرازي، النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٩٦م.

٢٣. آل طعمة،سلمان هادي، تراث كربلاء، ط٣، بيروت، ١٩٨٣.

٢٤. آل طعمة، سلمان هادي، معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء، ط١، بيروت، ١٩٩٠.

٢٥. عبد الوهاب، بسام، معجم الأعلام، ط١، قبرص، ١٩٨٩.

٢٦. العاملي، محمد الحر، وسائل الشيعة، ج٥، ط٤، بيروت، ١٣٩١ ه / ١٩٧١م.

٢٧. عناد والجابري، وجدان فريق وستار جبار، حركة الجهاد في فكر الشيخ محمد تقي الشيرازي، بحث منشور ضمن وقائع اعمال المؤتمر العلمي الدولي الثامن عشر (المرجعية وأثرها في بناء الأنسان)، مركز دراسات الكوفة، الجزء الثالث، القسم الاول، النجف، ٢٠١٩.

٢٨. الفياض، عبد الله، الثورة العراقية الكبرى، ط٢، مطبعة الشريد، بغداد، ١٩٧٥.

٢٩. قرانجي، فؤاد، العراق في الوثائق البريطانية (١٩٠٥- ١٩٣٠)، بغداد، ١٩٨٩، مذكرات سندرسن باشا (طبيب العائلة الملكية في العراق ١٩١٨- ١٩٤٦) ترجمة: سليم طه التكريتي، ط٢، بغداد، ١٩٨٢.

٣٠. القريشي، محمد يوسف إبراهيم، المس بيل وأثرها في السياسية العراقية،، بغداد، ٢٠٠٣.

٣١. لجنة أحياء تراث الإمام الشيرازي، في رحاب قائد ثورة العشرين الإمام الميرزا محمد تقي الشيرازي، ط١، كربلاء، ٢٠٠٤.

٣٢. المرعشي، شهاب الدين، الأجازة الكبيرة، قم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٣٣. المرعشى، شهاب الدين، المسلسلات من الأجازات، قم ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٣٤. نظمي وآخرون، وميض عمر، التطور السياسي المعاصر في العراق، مطبعة جامعة صلاح الدين، ١٩٨٩.

٣٥. الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٧٤.

٣٦. ويلسن، أرنولد، الثورة العراقية، ترجمة: وتعليق: جعفر الخياط، ط٢،، لبنان، ٢٠٠٤.

٣٧. الياسري، عبد الشهيد، البطولة في ثورة العشرين د، م، ط١، دار الرافدين للطباعة

والنشر والتوزيع،٢٠١٠.

٣٨.اليساري، جاسم محمد ابراهيم، الشيخ محمد تقي الشيرازي ودوره في الثورة العراقية عام١٩٢٠، دراسة تاريخية، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثامن عشر(المرجعية وأثرها في بناء الأنسان)، مركز دراسات الكوفة، الجزء الثالث، القسم الأول، النجف ٢٠١٩م.